المنهج الاستقرائي
ودورهفي الاستدلالعلى مسائل العقيدة

(بحث مُحَكَّم تحكيما علميا ومنشور بمجلة كلية الآداب – جامعة طنطا- العدد السادس والعشرون – يناير ٢٠١٢م)

د/عادل أمين حافظ

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

حَرَصَ علماء المسلمين– قديما وحديثا – لتماس كلّ السُّبُل التي تكفُل لهم الدفاع عن العقيدة، ومنهاحشدُ البراهين النقلية والعقلية عليها؛ لتثبيتها في نفوس أتباعها من جانب، ونقض ادعاءات أعدائها من جانب آخر.

وقد كانوا حريصين على أنتكونالطريقةالتيتُقَدَّمبهاالموضوعاتالعقديةمبنيةً علىالمعطياتالواقعيةلعقلياتالمخاطبين؛ كيكونالخطابنافذاً إليهم،مقنعاً لهم،لاعلىأساسأنالغايةهيالإقناعشأنالمنهجالخطابيفيالمنطقاليونانيالقديم،ولكنعلىأساسأنالغايةهيالإقناعبالحق والاهتداء إلى اليقين.

ومن البراهين المستخدمة في ذلك، المنهج الاستقرائي، الذييستخدممعطياتالعلمالتجريبي؛ وذلك من خلال استقراء النصوص القرآنية الواردة حول بعض مسائل العقيدة، مع الاستشهاد كذلك بالنصوص التي تستعرض أمام الإنسان الظواهر الجزئية المحيطة به وتدعوه للتدبر، وتمحيص علاقاتها وروابطها؛ ليرتقي من ذلك إلى أسبابها ومسبباتها. مع مراعاة ما تتضمنه هذه النصوص وتلك من مخاطبة العقل؛ لبيان موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول.

وليسهذاالمنهجبدعاً فيالثقافةالإسلامية،بلهومنهجقديمفيها،فالقرآنالكريمبنىخطابهالإقناعيعلىأصولالواقعالكونيوالإنساني. وهومايظهر جليًّافياستخداماالآياتالكونيةمقدماتفيالاستدلالعلىحقائقالعقيدة،واستخداماالعبرالتاريخيةباعتبارهاوقائعإنسانيةفيالإقناعبمايبشربهمنتعاليمتعلقبمصيرالإنسانوغايةوجوده،والانطلاقمنالمصلحةالعمليةللإنسانفيحملهعلىالتسليمبأسسالعقيدةالإسلامية.

وعليه فإن الأدلة القرآنية – من جانب – تمتاز بالتنوع و الجمع بين كونها برهانية منطقية ، وخطابية مؤثرة، وجدلية ملزمة؛ كي تتناسب مع طبائع الناس المتفاوتة، ومداركهم المتباينة، وأهوائهم المتضاربة ومسالكهم في طلب الحق المختلفة .

كذلك فإننا نجدها – من جانب آخر – تحرص على غرس النزعة العلمية، في نفوس أتباعهاوحضّهم على البحث والنظر والملاحظة والتجربة، وهذه أسس الطريقة العلمية الحديثة، التي تبنت الاستقراء منهجا في التفكير.

من أجل ذلك وُجِدَ مَنْ يتحمس للمنهج الاستقرائي واصفا إياه بأنهالمعبر عن روح الإسلام (إذ إن الإسلام هو) تناسق بين النظر والعمل.

تلتزم هذه الدراسة المنهج الاستقرائي؛ وذلك بتتبع النصوص ذات العلاقة بمسائل العقيدة، وتحليلها وفق مقتضيات ذلك المنهج، مع ربط تلك النصوص وما يلائمهامن الواقع المشاهد.

تشتمل الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة ، وقائمة بالمصادر والمراجع.